

إصدارات مجلة قراءات إفريقية (3)

قراءات إفريقية
مجلة ثقافية علمية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية
تصدر عن المنتدى الإسلامي بطنجة

التنصير في إفريقيا أساليبه ووسائله وآثاره



(٣)

إصدارات مجلة قراءات إفريقية

التنصير في إفريقيا أساليبه، ووسائله، وآثاره

شارك فيه

- | | |
|---------------------------|-----------------------|
| د. آدم يمبا | ١. أحمد عمرو |
| د. أيمن شبانة | د. بدر حسن شافعي |
| د. جلال الدين محمد صالح | د. جمال عبد الرحمن يس |
| أ. سيدة محمود محمد | د. كمال محمد جاد الله |
| أ. محمد الأمين سَوَادُغُو | أ. محمد فرج مصباح |
| د. محمد نور عبد الله | |

تحرير

بسام المسلماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

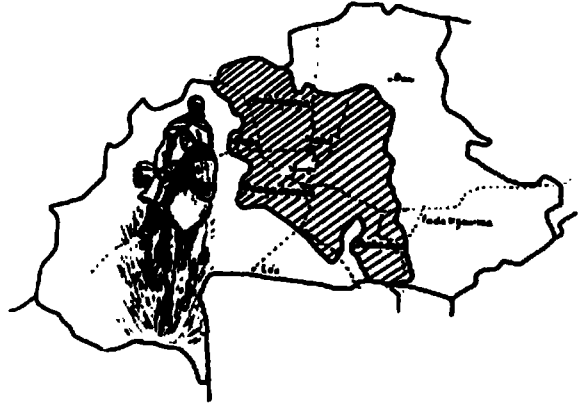
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحراك التنصيري في غرب إفريقيا

(بوركينا فاسو نموذجا^(١))

بوركينا فاسو إحدى الدول الواقعة في غرب القارة الإفريقية، وهي من دول السَّهْلِ الإفريقي، ويقدر نسبة المسلمين بـ ٥٥.٩٪، ويقدر نسبة الكاثوليك بـ ١٦.٦٪، والبروستانت ٣٪، والوثنيين ٢٣.٧٪، وأتباع الديانات الأخرى يمثلون ٠.٢٪ في حين أنَّ العلمانيين يمثلون ٠.٦٪^(٢). اللُّغَةُ الرَّسْمِيَّةُ للدولة هي الفرنسية، كانت تسمى بوركينا فاسو باسم (فُولْتَا العُلْيَا) غير أنَّه عقب قيام ثورة ٤ أغسطس عام ١٩٨٣م شهدت الدولة تغييرات كثيرة منها تغيير اسمها لتصبح (بوركينا فاسو) ويعني (أرض الأحرار)^(٣).



خريطة توضح أكثر الأماكن انتشاراً ونفوذاً للكنيسة في بوركينا فاسو بشكل عام

بداية التنصير في بوركينا فاسو:

التنصير هو الدَّعوة إلى الدِّيانة النَّصرانية، ومحاولة نشر عقيدتها في أنحاء العالم بالوسائل

(١) محمَّد الأمين سَوَادُغُو. باحث بوركيني ومتخصص في الشُّؤون الإفريقية.

(٢) ينظر: notre nationalite burkinabe ou burkinabe • jonas hien • le pays N :3228-2004•p19

(٣) ينظر Du :institut national de la stutique et du recensement demographie• 2000• analyse Du recensement general de la poplation et l habitat de 1996• vol :1 Des sultants Ouagadougou•p54

والإرساليات المتنوعة، باسم «التبشير» الذي هو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها بمختلف الوسائل والأساليب. ليتخذوا النصارية ديناً لهم وإرجاع المهزطقين إلى الإيمان بما تقرره الكنيسة المعنية، وهذا ينطبق على التبشير في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث^(١).

التنصير يَدُق ناقوس الخطر في بوركينافاسو يتهدد الأمن الروحي للمجتمع البوركينى المسلم؛ فأنشطته تتزايد في كل يوم؛ فإذا كان المدّ التنصيري حركة مستمرة في بوركينافاسو قبل استقلالها ١٩٦٠م إلى هذا الوقت، فإن هذه السنوات الأخيرة تشهد نشاطاً تنصيرياً أكثر من بقية السنوات السابقة: تشهد الدولة تحركات من أساطيل حركات التنصير مستخدمة في ذلك شتى السبل والوسائل، وهدفها الأساس الرغبة في توثيق عرى التواصل لكسب أتباع جدد وعرقلة تعميم نور الإسلام وشعاع شمسها، فكوّنت جبهات صلبة عند التنصيريين والمُستعربين وسخرت كافة الإمكانيات المادية والمعنوية للخوض في الحرب على الإسلام بشكل سرّي ومعلن في هذا البلد المسلم.

لقد وصف المنصرون بوركينافاسو بـ(الابنة البكر للكنيسة الكاثوليكية في غرب إفريقيا)، وربما تزوجت الآن وأنجبت أطفالاً، وأصبحوا مملكة خطيرة على المسلمين في هذه الدولة، وربما هي عقيمة وشاخت فتسعى لجمع أطفال وهو خير للمسلمين، وأعتقد أن حالها تتفق مع الصفة الثانية وهي العقم: حيث خيّبت آمالهم بهذا البكر التي لم تتجب شيئاً لهم.

تعود الجذور التاريخية للحركات التنصيرية في بوركينافاسو إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وهي فترة توسع الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا، وكان في طليعة المنصرين الذين دخلوا بوركينافاسو أفراد من خلية «الآباء البيض» التي كوّنوها (الكردينال لافجيري)، وكان في مقدمة هؤلاء المنصرين «الأب هجارد»، وبعد أن تمكّنوا من تأسيس مركز سيفو بمالي عام ١٩٩٥م انطلقوا نحو بوركينافاسو فوصلوا إلى واغادوغو عام ١٨٩٩م ثم وصلوا زحفهم باتجاه مدينة كوبيلا (Koupéla)، ومن هناك تم تأسيس أول مركز تنصيري في الأراضي البوركينية عام ١٩٠٠م، ثم مركز واغادوغو عام ١٩٠١م^(٢).

لقد كان يسعى الاستعمار الفرنسي لاحتلال بوركينافاسو المركز الرئيس للتنصير في غرب إفريقيا، وتحويلها إلى سياج منيع ودار فولاذي في وجه الإسلام؛ لأن مملكة موسي وقتئذ كانت متميزة بكثافة سكانها وبنظمتها السياسي والاجتماعي والحري المتناسك، ولذلك

(١) ينظر: التنصيرية والتنصير، محمد عثمان صالح، جامعة أم درمان الإسلامية، د. ط. ص: ٣١. ودائرة معارف القرن العشرين، محمّد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٧١م، ج ٢، ص: ٢٠٥.

(٢) ينظر: Eglise et pouvoir au soudan Français et Missionnaires dans la boucle du: Niger (1885-1945)، Joseph- Roger de Benoist، Editions Karthala paris، p33.

ركّزت عليها الأساطيل التنصيرية بشكل كبير، وجلبوا منهم عددًا كبيرًا إلى النصرانية. دائمًا يستغل المنصرون النوازل كالكوارث، والجفاف، والأمراض الوبائية، وغيرها؛ لتنصير الشُّعوب لقد استغلوا الكوارث الطبيعية التي خيَّمت على المجتمع البوركيني؛ نتيجة للجفاف المتعاقبة على بعضها البعض وصفت بسنوات (القحط والمجاعة) في عام: ١٩١٥ و ١٩١٦م و ١٩٢٩ و ١٩٣٤، والجفاف في عام: (١٩١٨ و ١٩٧٣م) لتنشيط دائرة نشاطاتها، وترسيخ عملياتها التنصيرية، فالجفاف والجوع في منطقة الساحل، وهي منطقة يكون فيها المسلمون الأغلبية السَّاحقة، أعطى فرصة لهذه المنظمات التنصيرية، وأمثالها للظهور والتَّحرك: حيث تقوم بتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية في الوقت الذي تكاد الهيئات الإسلامية تختفي فيه عن السَّاحة نفسها^(١).

المنظمات التنصيرية في بوركينا فاسو:

ينتشر في بوركينا فاسو ما يفوق (٤٠٠) منظمة تنصيرية موزعة بين المدن والقرى والأرياف والأمصار تحت مسميات متعدّدة، فيها كنائس ومنظمات خيرية وتعليمية وصحية، على رأس المنظمات الكنسية «مجلس الكنائس العالمي»، و«منظمات أوكسفام»، و«الكنيسة الإصلاحية الأمريكية»، و«جنود يسوع»، و«الحملة العالمية للتصير»، و«منظمة التبشير البروتستانتية»، و«رابطة الرهبان لتنصير الشُّعوب»، و«منظمة الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية»، و«البعثة المعمدانية الأمريكية»، و«الاتحاد المسيحي للشبان العالمية»، و«هيئة الكنائس البروتستانت» وغيرها من المنظمات.

وتمارس هذه المنظمات أنشطتها بشكل مكثّف في جميع أنحاء البلاد لدرجة أن الفاتيكان قد دشّن خلال العام الماضي «جامعة عالمية» في مدينة (بُوبُجُولَاسُو) العاصمة الاقتصادية للدولة لتخريج القادة وصناع القرار في البلاد، بل إنّه اختار هذه المدينة للوجود الإسلامي الكاسح بها، ومحاولة اختراق صفوف المسلمين، بل إنَّ الفاتيكان قد راعى مشروع بناء أكبر كنيسة في إفريقيا في البلاد بعد كنيسة (أبيدجان) في جمهورية كوت ديفوار المجاورة لتعزيز وجوده، وتقوم هذه المنظمات بدور كبير في كبح جماح أيّ جهود دعوية لدرجة أنّهم يرسلون وفودًا تنصيرية كبيرة إذا وصل إلى مسامعهم أنّ هناك داعية إسلاميًا ينشط في هذه المنطقة، فضلًا عن عدم التّورع عن إنشاء كنيسة إذا أخبروا ببناء المسلمين مسجدًا رغم تراجع أعداد النّصارى في البلاد، لدرجة أنّهم مع الوثنيين لا يشكلون إلاّ ٢٠٪ من مجمل

(١) ينظر: Maxime Emmanuel (1913-1973) «Les Christianismes en pays San»
Zamane, Mémoire de Maîtrise, Université de Ouagadougou, département
d' Histoire et d' Archéologie, 1990, p72.

سكان البلاد، يتحركون بخفة مع دراية، ويتخذون وسائل متنوعة وفاعلة. لتمرير رسائلهم ويستفيدون من كل صراعات بين المسلمين^(١).

أشهر الكنائس انتشاراً ونفوذاً في بوركينا فاسو ١- الكنائس الكاثوليكية:

إنَّ الكاثوليكية أكثر الطوائف النصرانية أتباعاً في بوركينا فاسو، والسَّـر في ذلك هو أنَّ دولة فرنسا وكبار قادتها يؤيدون هذه الكنيسة. وبوركينا فاسو مستعمرة فرنسية، اللُّغة الفرنسية فيها فرنسية والعُـمـلة فيها فرنك سيفا، والدُّستور فرنسي التَّكوين، فمعظم النَّصارى ينتمون إليها، فتالت حظاً وافراً من التَّرويج والتَّزعم والشَّعبية أكثر من زميلاتها بسبب الدَّعم الفرنسي المستعمر، وبالتالي فيها من الفُسحة والتَّمتع واللَّهو بشكل واسع، وكونها أكبر الكنائس النصرانية في العالم. وتُدعى (أم الكنائس ومعلمتها)، تتمثل في عدة كنائس، تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة (بابا فاتيكان) عليها، وسميت بـ(الكنيسة الغربية) أو (الكنيسة اللاتينية) لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصَّة.

أمَّا كلمة كاثوليك فتعني «الجامعة»، وأوَّل من استعملها للدعوة لتأييد الكنيسة مقابل حركات الخُروج على مفاهيمها وعقائدها - الهرطقة - أسقف أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثَّاني الميلادي^(٢).

٢- الكنائس البروتستانتية:

تأتي هذه الكنائس الدَّرَجَة الثَّانية من حيث الأتباع والانتشار. وهي أكبر الطوائف النَّصرانيَّة في بوركينا فاسو لها سبق الدُّخول إلى البلد، تدعمها الإنجليز والألمان، وهي لا تخضع لباب الفاتيكان في روما، وهي أصلاً ثاني أكبر المذاهب النصرانية في العالم، وتشرف عليهم في بوركينا فاسو الكنيسة المعمدانية، ويدعون أنَّهم متمسكون ويظهرون بمظاهر المتشدِّدين أكثر من الكاثوليك، ويرجع السَّبب إلى نشأتها حيث ظهرت في أوائل القرن السَّادس عشر، واسم «البروتستانتية» تعني: نحلة الاحتجاج أو الاعتراض، وأطلق على معتققيها اسم «البروتستانت» أي: المحتجين أو المعارضين.

(١) ينظر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué le jeudi 4 juillet 2013

(٢) ينظر: دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٠٠م، ج٢، ص: ٣٢٠.

ويُطلق أيضًا على مجموعة الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لحركة الإصلاح التي تزعمها «مارتن لُوثِر» و«كالفِن» في ألمانيا، وقد دعا إلى ظهور هذه النُخلة أمور كثيرة يرجع أهمّها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها من الانحرافات الأخلاقية والفكرية، فظهروا كدعاة إلى الإصلاح الديني وتخليص النُصرانية من هذه الأدران المختلفة، ولهم أتباع في بوركينافاسو.

٢- الكنائس الأرثوذكسية:

تأتي في الدرجة الثالثة في بوركينافاسو من حيث الأتباع والانتشار، وهي قوّة لها دعم داخلي وخارجي كزميلاتها الكاثوليكية والبروتستانت، ومعنى كلمة أرثوذكس باليونانية (الرأي القويم والإيمان المستقيم)، والأرثوذكسيون هم المسيحيون الشرقيون الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام ١٠٥٤م، وكوّنوا كنيسة مستقلة في القسطنطينية عُرفت باسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية^(١)، ولديهم أتباع في بوركينافاسو.

٤- الكنائس المارونية:

تأتي الدرجة الرابعة من حيث الأتباع في بوركينافاسو، وهي آخر كنيسة أو طائفة وصلت إلى بوركينافاسو، انحصرت على أناس معنيين، وهم اللُّبنانيون، وليس لديهم كنائس في بوركينافاسو الخاصة بهم، ومعروف أنّ اللُّبناني في بوركينافاسو إمّا شيعي اثنا عشري وهم الأكثرية، أو نصراني ينتمي إلى طائفة المارونية، وهم قلة، وأوّل اهتماماتهم النشاط التجاري، وغالبًا ما يذهبون إلى كنائس الطوائف الأخرى للعبادة.

والمارونية طائفة من طوائف النُصارى الكاثوليك الشرقيين، يرون أنّ للمسيح طبيعتين ومشية واحدة، ينتسبون إلى (القديس مارون)، ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزًا لهم، وفيها أكبر كنيسة لهم^(٢).

نسبة الكنائس والقساوسة في بوركينافاسو:

أكدت لجنة المسح الكنسي في دراستها «الكترغرافية» لمعرفة عدد الكنائس في بوركينافاسو، أنّ بوركينافاسو تحتضن بين أحشائها (٦٠٩٤) كنيسة، وفيها (٦١٦٦) قسيسًا، بينهم (٢٩) امرأة، وتمثل المناطق الريفية النسبة الأكبر حيث تصل إلى ما فوق (٧٩,٨٪)

(١) ينظر: Archbishop Michael «Orthodox Theology» The Greek Theological Review 3 (Summer: 1957): p. 13

(٢) ينظر: التنصير والإسلام، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، مطبعة التقدم، القاهرة، ط١٩٧٧م، ص٣٠. ومحاضرات في النُصرانية، محمد أبو زهرة، مطبعة يوسف، مصر، ط٢٠٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ص: ١٢٢.

من مجموع الكنائس في الدولة. ومعظمها في المناطق الشرقية التي تضم لوحدها (١٠٧٢) كنيسة من بين مجموع الكنائس، كما تمثل (١١٢) كنيسة في مناطق «الساحل»، أما المناطق الوسطى فهي أكبر المناطق تقارباً بين الكنائس من حيث المسافة تجد في كل (١٠٠) كيلومتر (٢٤) كنيسة. وهي نتائج إحصائية توصلت إليها اتحاد الكنائس والإرساليات التنصيرية الإقليمية والدولية المعروف بـ (Fédération des églises et missions évangéliques) (FEME) ^(١).

وتوصلت الدراسة إلى أن الكنائس التابعة للاتحاد (FEME) بما فيها الكاثوليكية موجودة في كل مناطق الدولة، وبلغ مجموع كنائسها (٥٧٥٢) كنيسة، ويقدر عدد قساوسها بـ (٨٠٠٠٠) من مجموع القساوسة في كنائس بوركينافاسو.

بينما الكنائس المعمدانية البروتستانتية تمثل (١٢٨) كنيسة فقط. وللمركز الدولي الكنسي (٢١٢) كنيسة، وُزعت في جميع أنحاء الدولة. ومن المؤكد وجود العديد من الكنائس وهي عبارة عن بيوت ومحلات خيام يجتمع فيها منصرفون ومتصرفون.

كما كشفت الوثيقة أن (٥٤,٢٪) من مجموع القساوسة لم يتجاوز مستوياتهم التعليمية الابتدائية والمتوسطة، وأن (٣٦,٦٪) منهم لم يتجاوز دراساتهم المرحلة الثانوية، بينما (١٣,٢٪) منهم من الذين واصلوا الدراسات الجامعية فما فوقها ^(٢).

هذه أرقام وإحصائيات من النصاري أنفسهم والترويج أحد وسائلهم في التنصير؛ فهذه الأرقام والنتائج فيها نسبة من الصحة، ولكنها مبالغ فيها، وهي ماذة دعاية إعلامية للنشاط الكنسي في بوركينافاسو. فالحقيقة التي يمكن أخذها وراء هذه الإحصائيات المفرضة هي أن هناك هجمة شرسة تُعد لها أساطيل التنصير لهذا البلد المسلم، ومع ذلك نجد أن النتائج الاستقطابية أقل من التكلفة التي وُضعت لتنفيذ هذا الغرض، وهذا ما يغيب آمال المؤسسات التنصيرية في هذا البلد على الرغم من كثرتها التي تقدر بـ ٤٠٠ مؤسسة تنصيرية التي تعمل في مختلف القطاعات التعليمية والسياسية، والاجتماعية والرياضية، والطبية والخيرية، والقطاع الحكومي والخاص والمؤسسات الإعلامية.

يدرك بوضوح كل من يتابع النشاط التنصيري في بوركينافاسو أنه ازداد نشاطاً مع

(١) ينظر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué le jeudi 4 juillet 2013

(٢) ينظر: les résultats d'une étude de Compassion internationale portant sur la cartographie des églises et missions évangéliques du Burkina Faso à Ouagadougou restitué le jeudi 4 juillet 2013

بداية القرن العشرين بواسطة الكاثوليك مع أعداد محدودة من المواطنين، وقد أدى ذلك إلى مقاومة وطنية ضدّ الحركة التبشيرية التنصيرية الكاثوليكية، وخلال النصف الأوّل من القرن العشرين شمل التبشير التنصيري الكاثوليكي معظم البلاد، وأخذ يتوسع على حساب المعتقدات المحلية، وخاصّة (الوثنية) في ظل تصاعد انتشار الإسلام بشكل كبير، ثم انضم إلى الحركة التبشيرية التنصيرية البروتستانتية بقية الطوائف، وارتبطت أهم المراكز التبشيرية في بوركينافاسو بالكنائس العالمية، مثل اتحاد الكنائس والمراكز التبشيرية الوطنية. وتملك الكنيسة الكاثوليكية وحدها في بوركينافاسو أكثر من (٣٠) مؤسسة تعليمية في بوركينافاسو، وتستخدم هي والكنيسة البروتستانتية إذاعة وتلفزيون الدولة الرسمي لبث البرامج التبشيرية^(١).

أسباب ترحيب الناس بالمنظمات التنصيرية قدماً في بوركينا فاسو

يرجع أهم أسباب ترحيب الناس بهذه الكنائس إلى أسباب عدة، منها:

١- الفقر المدقع:

إنَّ الظروف الاقتصادية التي كانت يعيشها الشعب البوركيني قاسية وقت دخول الاستعمار والمنصرين، عاش الشعب مضطهداً في ظل وطأة الاستعمار، وكانوا يتطلعون إلى الحرية، وخدمتهم مختلف المؤسسات المنصرين أكدوا لهم أنَّهم جاءوا لإنقاذهم من ويلات الفقر والاضطهاد والبطش من المستعمرين وتجار العبيد، فمعلوم أنَّ (٣٩٪) من سكان إفريقيا يعانون من سوء التغذية وهي أكبر نسبة في العالم، رغم أنَّ إفريقيا فيها الموارد والطاقت البشرية والطبيعية التي وهبها الله، إلاَّ أنَّها لم ينتفع أهلها بها، بل انتفع بها أناس غُرباء عنها^(١).

وقد أدرك المنصرون هذا الأمر، وأدركوا الصعوبة التي يعانيها كثير من الشعب البوركيني، فعملوا على تنصير بعضهم من خلال تقديم المعونات لهم، وقد جبلت النفوس على حبِّ من أحسن إليها والقبول منه كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان^(٢)

٢- الجهل المظلم:

الجهل خطرٌ على الأمم، به تهزم، كما أنَّها ترتفع بالتعليم إلى القمم، فإنَّه تحط بالجهل وهو من أعظم وسائل التخلف الثقافي والاجتماعي والسياسي في إفريقيا. فالشعب البوركيني كانوا مثل مواد خام طيِّب ومرن يسهل استخدامها لصناعة ما تريد، بل يمكن توظيفها كما يريد المخطط لها، الجاهل يرحب بكل ناعق؛ ظناً منه أنَّه يخرج من مصائبه، فاشتغل التنصير طيب الشعب البوركيني مع جهلهم لاستخراج بعضهم في قالب تنصيري بطراز خاص، فلم يدرك من تنصر أنَّه يهرب من (الاستعمار الديمغرافي) إلى

(١) ينظر: التنصير في إفريقيا .. الأهداف، والوسائل، وسبل المواجهة، مانع بن حماد الجهني، مجلة البيان، العدد: ١٥٣، ص: ٥٨.

(٢) قصيدة «عنوان الحكم»، للشاعر الأديب أبي الفتح البستي (٢٣٠-٤٠٠ هـ).

(الاستغلال الديني)، وهو أشدّ خطورة من الاستعمار الديمغرافي التي تزول بثورة السّكاكين والأحجار والبنادق، بينما (الاستغلال الديني) لا يزول إلا بثورة الدماغ والعقول، وهي من أصعب الثورات في عالم المغريات، ولأنّ (الاستغلال الديني) مرتبط بالتعليم يذيب شخصية الآخر كليًا.

يقول محمّد إقبال: «إنّ التّعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشاء. إنّ هذا الحامض هو أشدّ قوّة وتأثيرًا من أيّ مادّة كيماوية، وهو الذي يستطيع أن يُحوّل جبلاً شامخاً إلى كومة تراب»^(١)، وقد أدرك المنصّرون أهمية التّعليم خاصّة في القارة التي ينتشر فيها الجهل فعملوا على إيجاد المدارس والجامعات التّصيريّة بنية تخريج أجيالاً مُستقبلية تخدم طموحاتهم وتكون تبعاً وتلاميذ لهم إلى الأبد.

٢- الأمراض الفتاكة:

إنّ الثّالوث الخطير الذي يوجد في بوركينافاسو، وفي إفريقيا بشكل عام، هو: الفقر، والجهل، والمرض، ممّا يجعل منها مرتعاً خصباً للمنصّرين، فقد استغلّوا علاج الأمراض المنتشرة في البلد لتحقيق أطماعهم، وحوّلوا المهنة الإنسانية إلى وسيلة لاستغلال مآسي النّاس، ولذلك تجدهم يقولون: «حيثُ تجد بشراً تجد آلاماً، وحيثُ تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب. وحيثُ تكون الحاجة إلى الطبيب: فهناك فرصة مناسبة للتّصير»^(٢).

ولهذا فإنّ المعالجة في بوركينافاسو كانت لا تبدأ قبل أن يركع المرضى، ويسألوا المسيح أن يشفيهم، وهي رسالة مباشرة للمريض أنّ الذي جاء بالشفاء هو المسيح، وعليه أن يتوكّل عليه في جميع أموره الدنيوية، وهكذا فعلوا مع المجانين والذين يعانون من الأمراض العقلية.

٤- أسلمة المجتمع:

دخل الإسلام في بوركينافاسو في القرن الثّامن عشر الميلادي، ومن المؤرخين من يرجّح القرن التاسع عشر لدخول الإسلام في بوركينافاسو، ودخل من المناطق الغربية ويالتحديد مدينة بويوجولاسو العاصمة الاقتصادية الحالية لبوركينافاسو، وثاني أكبر المدن في الدولة.

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي. دار الندوة، لبنان. ط٢. ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م. ص: ١٦٩.

(٢) التّشهير والاستعمار في البلاد العربية. عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ص: ٥٩.

والمناطق الشمالية (يَاتِقْنَا)^(١)، يرى المنصرون أنَّ هذا خطر على تقدم تنصيرهم في ظل قبول ضعيف من الشَّعب، يقول «بلس»: «إنَّ الدِّين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التَّنصير بالتَّصْرانِيَّة في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا: لأنَّ انتشار الإنجيل لا يجد معارضا لا من جهل السُّكان. ولا من وثنيته. ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية»^(٢).

وكما أنَّ فرنسا راعية الكنيسة الكاثوليكية في بوركينا فاسو وفي مستعمراتها: فقد كثفت جهودها لمحاربة الإسلام فيها، يقول فيليب فونداسي: «إنَّ من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تتجهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره»^(٣).

ويقول البابا بولس الثَّاني في كلمته التي ألقاها بمناسبة ذكرى ميلاد المسيح في روما عام ١٩٩٢م لدى استقباله وفد أساقفة إفريقيا «ستكون لكم كنيسة إفريقية منكم واليكم، وأن لإفريقيا أن تتهض، وتقوم بمهمتها الرِّبانية، وعليكم أيُّها الأساقفة تقع مسئولية عظيمة، ألاَّ وهي تنصير إفريقيا كُلِّها في عام ٢٠٠٠م»^(٤).

(١) ينظر: التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر غربي إفريقيا، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مجلد: ١٥، ص: ١٤٩.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، آل شاتولي، ترجمة: عبد الدين الخطيب ومساعد الياني، دار المدني، د.ط، ت، ص: ٣٥ - ٣٦.

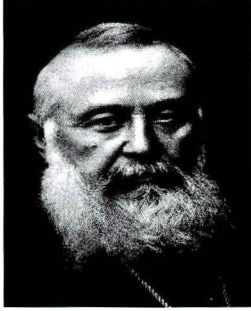
(٣) الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء، دراسة عن الإسلام في إفريقيا السوداء الفرنسية، فيليب فونداسي، ترجمة: دار الفكر لاسلامي، د.ط، ت، ص: ٢.

(٤) التنصير في إفريقيا.. الأهداف، والوسائل. وسبل المواجهة. مانع بن حماد الجهني، مجلة البيان، جمادى الأولى ١٤٢١هـ - أغسطس - ٢٠٠٠م، العدد: ١٥٣، ص: ٥٨ - ٦٨.

أهم رجال التنصير في بوركينافاسو قبل الاستقلال

وصل التنصير إلى بوركينافاسو في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان في طليعة المنصرين، مجموعة من «الآباء البيض»، التي كوَّنها «الكردينال لافيغري» كما أُشِرْتُ سابقًا.

١- الكاردينال شارل مارسيال ألمان لافيغري (Lavageriy):



لا يُذكر تاريخ التنصير في إفريقيا إلَّا وذكر معها المنصِّر كاردينال لافيغري، كان من كبار المنصرين في القارة، وله اليد الطولى في التنصير في غرب إفريقيا بما فيها بوركينافاسو؛ فهو الذي نادى بفكرة «تنصير غرب إفريقيا بأيادٍ فرنسية»، وُلد في بيُّون بفرنسا عام ١٨٢٥م، أُرسل إلى الجزائر عام ١٨٦٧م وقيل ١٩٦٨م كأسقف للكنيسة الكاثوليكية، ثم أصبح ممثلًا رسولياً لبلاد ما وراء الصَّحراء عام ١٨٦٨م^(١).

وهو مؤسس جمعية المبشرين بالجزائر التي تُعرف باسم (الآباء البيض) و(أخوات البيض)، من أخطر الذين توغلوا في إفريقيا شمالها وغربها، وفي الشام أيضًا وخاصة في المستعمرات الفرنسية، وهو فرنسي له رؤية ممنهجة لنصرنة المستعمرات الفرنسية، توفي عام ١٨٩٢م، ونُقلت جثته إلى روما عام ١٩٦٤م، يُعتبر هذا الكردينال الأب الروحي للتنصير في غرب إفريقيا، وإليه يرجع فكرة التنصير، وهو المخطَّط له، فالآباء البيض مروا من بوابته وبتوجيهاته، استخدم فكرة التنصير كمطية لتحقيق الأهداف التي تسعى فرنسا إلى تحقيقها في تلك الأصقاع.

توغل هذا الكردينال في داخل دول ما وراء الصحراء، للتبشير بمعتقداته، فأسس «جمعية الآباء البيض»؛ للاضطلاع بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر، وأصبح الميدانُ فسيحًا أمام البعثات التنصيرية الفرنسية التي تنتقل متزامنة مع تحركات الجيوش النظامية بعد أن احتلت فرنسا غرب إفريقيا^(٢).

(١) ينظر: الحركة الطلابية التونسية ١٩٣٧-١٩٣٩م، ضيف الله، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان-تونس، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٢- ٣٣.

(٢) ينظر: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١، ١٩٩١م، ج: ١، ص: ٩٠.

رَكَّزَ هذا الكردينال على الجزائر معتبراً الجزائر باباً نحو القارة الإفريقية التي أرسل إليها بالفعل عدداً من البعثات التبشيرية، وذهب إلى تونس منذ سنة ١٨٧٥م، وجعل التعليم مقدّمة لعمله التنصيري فيها، فأسس «معهد القديس لويس»، وغيرها من المعاهد التنصيرية. وهو ما جعله يسمى «جاثليق .. إفريقيا»، فالحديث عن رجال التنصير في بوركينافاسو يبدأ به قبل غيره^(١).

٢- الأب هجارد بروسبير هوغستن (Hacquard, Prosper Augustin):

يعتبر «الأب هجارد»، منصّر الشّعب البوركيني، كان على مقدّمة الذين دخلوا بوركينافاسو من مجموعة «الآباء البيض» التي أرسلها «الكردينال لافيغري» إلى غرب إفريقيا، دخل «هجارد» ومعه ستة آباء وثلاثة إخوة في مناطق «مُوسي Mossi» وهم أكبر قبيلة شعبية في بوركينافاسو بعد تأسيسه مركز سيغو بمالي عام ١٨٩٥م، ثم انطلق والذين معه نحو بوركينافاسو مروا بمناطق بوبو سكان بوبوجولاسو الأصليين وسامو ومروا بمدينة (لا La) و(ياكو Yako)، ووصلوا إلى العاصمة البوركينية واغادوغو عام ١٨٩٩م عبر (سابتenga Sabtenga)، ثم واصلوا



زحفهم نحو مدينة «كوبيلّا Koupèla» كما ذكرت سابقاً، ووجدوا أتباعاً، يصل عددهم (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ شخص)، فأسس أوّل مركز للتنصير في كوبيلّا ١/٢٢/١٩٠٠م، وترك فيها (الأب بيير كناك Pères Canac)، و(الأب بيير مينت Pères Menet) و(الأخ سلسنت Frère Célestin) إضافة إلى الصليب الهيكلي، ثم رجع إلى العاصمة وأسس مركزاً آخر في ١/١/١٩٠١م، كما أسس ثلاثة مراكز بمثابة كنائس في مدينة (فادا انغروما Fada N'Gourma)، في فبراير ١٩٠٠م.

الأب «هجارد» هو مهندس التنصير في بوركينافاسو، كان مستكشفاً قبل أن يتحوّل إلى منصّر بقيادة لافيغيري، ولد في فرنسا عام ١٨٦٠م، وطلب الانضمام إلى خلية «لافيجري» «الآباء البيض»، وبعد خمس سنوات عُيّن قسّاً مع زملاء له في الجزائر من قبل مؤسس المجموعة (كاردينال لافيغيري)، وُصف بالشّجاعة والرّومانسية المفرطة، وكان يتقن العربية قراءةً وكتابةً، تعلمها في الجزائر، وهو كاثوليكي.

(١) ينظر: الحركة الطلابية التونسية ١٩٣٧-١٩٣٩م، محمد ضيف الله، ص: ٢٣ - ١٢.

وكان من الأوائل الذين اهتموا بالتعليم في مدرسة القديس «يوجين» في الجزائر، ثم وفد إلى غرب إفريقيا كما أشرت سابقاً إلى مناطق ذات نفوذ قبائل «موسي Mossi» في بوركينا فاسو ثم إلى مناطق «غورما»، مات غرقاً في الماء بين النيجر وبوركينا فاسو وهو في طريقه إلى سيفو جمهورية مالي، يوم الخميس ٤/٤/ ١٩٠١م، كان عمره (٤١) سنة^(١).

٢- الأب تمبلير Père Templier :



هو أحد المنصرين الذين دخلوا في بوركينا فاسو، كان طبيباً ومدرّساً، وكان نشطاً في مجال التنصير، يتقن المكر والخداع، كُلف بمهمة التنصير مع زملائه في وغادوغو عام ١٩٠٤م، وبعد ٣٣ شهراً من الخدمة أقبل عليه (٧٠٠) من المواطنين لدينه ومعتقده، كان يقدم أكثر من (٥٠) درساً متنوعاً في برنامج التنصيري، وكان نشاطه يشمل من (١٠) إلى (١٢) كيلو مترات من العاصمة، زار ما يقرب من (٢٧) قرية على بعد (٥٠) كيلو متراً من العاصمة، وكان تركيزه على أن تكون الدولة علمانية مع ترك حرية كاملة للدين النصراني، ليكون الدين الأول والأخير للدولة، مع النص على ذلك في الدستور، مع الاحتفاظ بعلمانية الدولة. عمل الأب (تمبلير) في المستشفيات للعلاج، وكان في الغالب ميدانياً ومجاناً، وكان يدرس أيضاً في المؤسسات التعليمية التابعة للكنائس، وكان له تأثير كبير على السكان المحليين، ولخطورة هذا الأب لم يُعرف له تاريخ ولادته ولا وفاته^(٢).

٤- ألفريد ديبان، Alfred Diban :



إنّ هذا الوجه الأبيض المائل إلى السُّمرة من أكبر الوجوه المثيرة في الكنيسة البوركنية الكاثوليكية، كان مدرّساً ومهندساً وطبيباً وعالماً نفسانياً؛ لارتباط حياته الوثيق بحياة الكنيسة في وقت مبكر في غرب إفريقيا عامة وبوركينا فاسو بخاصة، ابتداءً من

(١) ينظر: P;20 Une Église qui libère, par le P. Gabriel Pichard, 1999.

(٢) ينظر: 21P; Une Église qui libère, par le P. Gabriel Pichard, 1999.

سيغو في جمهورية مالي إلى واغادوغو عاصمة بوركينا فاسو، وصل إلى واغادوغو ضمن وفود المنصرين المتوغلة في المنطقة والقادمة من مدينة سيغو عام ١٩٠٤م، وزار مدينة نافرونغو في بوركينا فاسو عام ١٩٠٦م، وكذلك مدينة ريو عام ١٩١٢م، وتُومًا عام ١٩١٣م، كتب عنه المؤرخ البوركيني الشَّهير كي زريو/ ووصفه بـ « المسيحي الأوَّل لفولتا العليا»، لنشاطاته المكثفة وتنقلاته المتعددة، وأحبَّه بعض السُّكان الذين تنصروا به، وقيل إنَّه كان يتمتع بأسلوب خاص في تنصيره، اهتم بالمسنين، وزعماء القبائل الوثنية، توفي ١٠/ مايو/ ١٩٨٠م^(١).

٥- أسقف الأستاذ Monseigneur Lemaître:



هذا المنصِّر بشكله الَّذي يميل إلى شكل المسلم، كان من أشرس المنصرين عداوة للمسلمين في بوركينا فاسو، كان فيلسوفًا وسياسيًا وعسكريًا ومتعلمًا، اشتدت عداوته على المسلمين بدعم من الإدارة الاستعمارية المركزية في فرنسا، كان في مناطق ذات سلطة قبائل بُوْبُو، وسَامُو، وتُومًا، وصل إليها في عام ١٩١٣م، كان يدرِّب الوثنيين في مدرسة أسست لتعليم العقيدة النصرانية عام ١٩١٥م لمجابهة المسلمين.

وركَّز تنصيره في القبائل المتحمسة لحماية الوثنية التي يرون

أنها تركة الآباء لا بد من حمايتها من خطر المسلمين الَّذين يحرقون الأصنام ويدفنونها ويطمسونها؛ يزرع في عقول السُّكان أنَّ النصرانية لا تحارب الوثنية ولا طقوسها، ولا تمنع شرب الخمر وحتَّى بعض الأصنام، بخلاف المسلمين الَّذين يحاربون الخمر الَّذي يعتبر أكبر أدوات الطقوس عند بعض القبائل عند أصنامهم؛ فلا يقيم أيَّ مناسبة اجتماعية سواء في الحزن أو في السرور إلَّا والخمر أوَّل الأشياء التي تُقدم قبل كل شيء.

اهتم هذا المنصِّر بالنساء والمطلقات والأرامل، حارب الزَّواج التقليدي في القبائل والزَّواج الإسلامي يعتبرهما ظلمًا للمرأة، فرحبت به بعض النساء، فكان تركيزه إلى جانب المسنين على العنصر النسوي بشكل عام لمنح حرية لهنَّ، ومحاربة ما سماه بـ «ظاهرة هبة الفتيات»، و«الزَّواج الإجمالي القبلي»، و«ظلم الإسلام للمرأة وإخضاعها لسلطة الرجل كليًا»، أسس مركزًا له لتعليم النساء فقط عام ١٩٣٩م، وقبل ذلك أسس كنيسة عام ١٩١٩م، في مدينة «مانغا».

(١) ينظر: 1999، Une Église qui libère، par le P. Gabriel Pichard، 21P.

ثم غادر إلى «قرطاج» لمهمة تنصيرية، فتاب عنه الأب Mgr Thevenoud «جواني تيفينود»^(١).

٦- النائب الرسولي جُواني تيفينود Mgr Thevenoud:



جواني منصّر فرنسي، مهندس في الزراعة ومتخصص في علم الاجتماع وعلم النفس والقانون والاقتصاد، كان ضمن الذين كان لهم تأثير واسع في بوركينافاسو، وُلد في فرنسا يوم ١٧/٣/١٨٧٨م، عُيّن رئيسًا للإرساليات في بوركينافاسو، كان له تأثير كبير في تأسيس الكنيسة بشكل عام في البلد، عاش (٤٦) سنة في وغادوغو، من ضمنها ٢٨ عام كأسقف، كان يحب الزراعة كثيرًا، وهو أوّل من زرع شجرة (مانغا) في بوركينافاسو، وأوّل من بنى سدًا للمياه، كان مرشدًا قانونيًا واجتماعيًا واقتصاديًا للمنصرين البيض.

وكان يركّز أيضًا على المسنين والنساء، وهو أوّل من أسس مدرسة في مدينة (بيري pabre) عام ١٩٤٦م، التي تخرج فيها كثير من القادة منهم على سبيل المثال: أوّل رئيس بوركينافاسو «مُوريس يامووغُو»، الذي أعلن استقلال بوركينافاسو عام ١٩٦٠م، حكم الدولة فيما بين عام ١٩٥٩م - ١٩٦٦م، وتوفي عام ١٩٩٣م.

وكذلك جوزيف كي زريو، المؤرخ البوركيني الشهير في العالم صاحب كتاب (إفريقيا السوداء)، توفي ٢٠٠٦م. توفي المنصر جواني عام ١٩٤٩م، وله العديد من المؤلفات منها: (المدرسة الإكليريكية في بيري)، (الأخوات السود)، وغيرها^(٢).

٧- الأب كُوارنسون : Père Goarnisson



الأب كُوارنسون، منصّر وطبيب ماهر، متعلم متقن، وهو من الشخصيات التنصيرية التي اهتمت بالجانب الطبي كثيرًا في بوركينافاسو، كان طبيب العيون، يعالج مجانًا، إلى جانب التعليم، اختار تعليم الأطفال، فتح مدارس الأطفال في عام ١٩٢٥م في مدينة (بيري pabre)، وتعلم اللغات المحلية

(١) ينظر: 1999 Une Église qui libère par le P. Gabriel Pichard; 23P;

(٢) ينظر: 1999 Une Église qui libère par le P. Gabriel Pichard; 24P;

وأتقنها، فتح عيادات خاصّة التّابعة لمختلف الكنائس^(١).

يلاحظ المتتبع لحركة المنصرين في بوركينا فاسو وتاريخهم أنّه ازداد عدد المنصرين بين ١٩١٩م - ١٩٣٩م، بعد الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد الثّانية؛ حيث ارتفعت من (٤٠٥٤٣)، إلى (٤٦٠٣٧٥)، المسيحي، وكان يعمّدون الذين دخلوا في دينهم، ثم إنشاء (٣٣) كنيسة في نفس الفترة وخاصة ١٩٢١م، وزاد عدد المنصرين أيضًا من ٣٩ من عام ١٩٢١م إلى ١٥١، وفي عام (١٩٢١م) تم إنشاء محافظة الرسولية في بوبوجولاسو عاصمة الاقتصادية لجمهورية بوركينا فاسو، وتطوّرت نفوذ المنصرين خلال الفترة نفسها، فأسسوا كنيسة في مدينة (دأنو) و(جيبوغو) وزادوا تمددًا فوصلوا إلى مدينة (نونا) و(ديدوغو) عام ١٩٤٧م^(٢).

(١) ينظر، ١٩٩٩، P. Gabriel Pichard، « Une Église qui libère »، 24P.

(٢) ينظر، 2003، Katrin LANGEWIESHE، « Mobilités religieuses. Changements religieux au Burkina Faso »، Lit Verlag، coll. « Mainzer Beiträge zur Afrika-Forschung »، 8، 438.

وسائل المؤسسات والمنظمات التنصيرية في بوركينافاسو

أهم وسائل التنصير في بوركينافاسو:

هناك جملة من الوسائل التي تتخذها المؤسسات والمنظمات التنصيرية كأداة لها في تنصير الشعوب: تستخدم هذا الوسائل للخداع والتغريب والاستغلال، وأحياناً الضغط عليهم، والاستفادة من الأزمات، بل أحياناً يعمدون إلى صناعتها وافتعالها، وسبب ذلك أن التنصير لا يملك الرصيد الفطري والعقلي، والحجة والبرهان لنشر مذهبها، لاسيما في الأوساط الإسلامية، حيث تتسم عقيدة المسلمين بالوضوح والعقلانية، بينما تتميز العقيدة النصرانية بكثير من الغموض والألغاز والطلاسم، الأمر الذي يجد معه المنصرون صعوبة شديدة في إقناع المسلمين بها، ولهذا قد يكتفون للسنوات الطوال دون أن تفلح جهودهم في تحقيق أهدافها. ممّا يضطرهم إلى اللجوء إلى المكر والخداع، واتخاذ أكثر من وسيلة والتي تتمثل في الأمور التالية:

١- الدعوة الإرسالية للأفراد:

كانت الطريقة القديمة في التنصير في بوركينافاسو تعتمد على دعوة الأفراد، أي: الاتصال بالفرد المراد تنصيره، والحديث معه لوجده، ومناقشة ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ثم إغراؤه بالدخول في النصرانية.

وقد لاحظ المنصرون أن هذه الطريقة شديدة البطء، قليلة الجدوى، لا تؤتي أكلها في كل وقت، وأدركوا أن من يتحولون إلى النصرانية عن طريقها يعانون من الحصار الاجتماعي من ذويهم فيردونهم إلى الإسلام أو إلى الوثنية، فلجئوا إلى ما يمكن أن يسمى بـ (التنصير الجماعي) الذي يمكن أن يتم فيه تنصير أسرة بأكملها، أو قبيلة بأكملها، أو مدينة بكل ما فيها دفعة واحدة، وهكذا ينعدم الضغط الاجتماعي على الأفراد.

ولكي تكون هذه الوسيلة ناجحة فلا بدّ -كما يقول المنصرون- من وجود أزمات ومشكلات تدفع الناس إلى أن يكونوا خارج حالة التوازن التي اعتادوها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية مثل الفقر والمرض، والكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعة، والحروب الأهلية، أو السياسية، وقد ترجع إلى عوامل معنوية كالتمزقة العنصرية.

٢- الإغراء الإرسالي للنساء:

يركّز المنصرون على الشرائح الضعيفة في المجتمع، فكانوا يتصلون بجملة من النساء التي في حالات اجتماعية صعبة؛ مثل: المطلقات، الأرمال، المطرودات بتهمة السحر وقتل أطفال الناس، والمطرودة بسبب حمل غير شرعي في القبيلة، أو سوء الحظ؛ لأنه مات على يديها أكثر من رجل، كما يهتمون بالأطفال وخاصة الأيتام واللّقطاء وأولاد الزنى، وحتى أطفال الكتائب التابعة للمسلمين الذين تمردوا وهربوا من بطش بعض المعلمين وقمعهم لهم، وتعذيبهم وتجويمهم. والأيتام المشردين والمرضى والمجانين والفقراء ونحوهم، يستغلون أوضاعهم لتتصيرهم من خلال مراكز خاصة للنساء من هذا النوع؛ فهذه الشرائح بحاجة فعلاً إلى الاستقرار والعلاج؛ وكثير من هؤلاء لا يلتفتون إلى مَنْ يقدم لهم الخدمة بقدر ما يلتفتون إلى الخدمة نفسها، فالحاجة تذلل أصحابها وتضعفهم، لقد بنوا مؤسسات كثيرة في كل ربوع الدولة لاحتواء هؤلاء الشرائح من المجتمع.

٣- الإحصائيات الإرسالية:

يعمل التنصير بجدّ على نشر الإحصاءات الكاذبة المضلّة عن أعمال التنصير ونجاحاتها في الدولة، فتقدم تقارير ومنشورات عن نجاحاتها، والإشارة إلى بعض إخفاقاتهم، لتفري الممولين بمواصلة البذل والمطاء؛ فإن أموالهم لم تذهب سدىً، وقصدهم وراء الإشارة إلى إخفاقاتهم: تخدير المسلمين، فلا يتحركون لمواجهة التنصير، لقد نشرت بعض مجهوداتهم من خلال دراساتهم الشّالفة الذكر وعدد الكنائس والقساوسة، فهذه النسبة مشكوك فيها؛ لأنّ من تقاريرهم التي لم يتأكد عليها أي منظمة مستقلة، فالقول: إنّ في بوركينا فاسو (٦٠٩٤) كنيسة، و(٦١٦٦) قسيساً، دراسة يحتاج إلى التّحقيق؛ لأنّ عدد النصارى لا يتجاوزون ١٠٪ من مجموع السّكان في بوركينا فاسو اللهم إلا إذا كان لكل كنيسة عدد بسيط جداً من الماعدين.

وهكذا يرجع المنصرون إلى الخداع فيما ينشر من إحصاءات كاذبة عن نتائج التنصير لهدف حجب الحقائق، والتقليل من أعداد من يستجيبون للتنصير، والحديث عن إخفاق مساعيهم في تحقيق أهدافهم، وقد قيل لأحد كبار المشرّفين على التنصير في إفريقيا: «إنّا نسمع من أن الآخر أنّ التبشير في إفريقيا قد أخفق، ألا تخرجون إلى أقاليم أخرى للتبشير؟ فضحك قائلاً: إنا نحن الذين ننشر هذه الأخبار، وننشرها في مقابل دفع أجره لها، وذلك أنّ التبشير في إفريقيا ناجحٌ كل النّجاح، وبلغ من نجاحه أنّ أصبح شوكة في ظهر السّودان، (ثم ذكر أنّ هذا النشر يحقق فائدتين): إحداها: أنّ المسلمين حينما يقرءونها يستمرون

في نومهم. فلا ينالنا منهم معارضة أو أذى. أمّا الثّانية أن تنهال علينا التّبرعات من أغنياء المسيحيين؛ لأنّ المسيحيين أينما كانوا يسرهم أن ينجح التّبشير^(١).

٤- التركيز الإرسالي على المناطق:

ركّز التّصير في بوركينافاسو في أوّل دخوله لها على المناطق الثّانية، ولهذا كان بدايتهم في مدينة «كوبيلا» Koupéla كما ذكرت سابقاً، وهي مدينة في محافظة «كُورِتِنْغَا» Kouritenga، وهي كانت قرية نائية في عام ١٩٠٠م. هكذا يصل التّصير إلى كل أمثال هذه المناطق المحتاجة إلى الدعم المادّي والمعنوي لضعف الخدمات فيها، فينفردون بتلك الشّرائح الاجتماعية، يقدمون لهم الدّيانة الجديدة مغلّفة بالخدمات التّعليمية والصّحية والاجتماعية ونحوها، والإنسان عبد الإحسان. وكثير من تلك الأوساط لا يفرقون بين الدّين السّليم والخاطئ، يرحب بمن يهتم بهم، ويقدم لهم خدمات جليّة: فيقع فريسة في هذه المصيدة.

٥- مخاطبة الإرسالية للطّبقة الغنيّة:

إذا ما أسّس التّصير مراكزه في المناطق النّائية رجع إلى المدن وإلى الطبقات الميسورة، فيخاطبون الفرائز لدى الطبقات الميسورة: عن طريق الفنّ، والأندية الخاصّة، وصناعة النجوم لتكون بدائل تبعد المسلم عن مبادئه وقيمه، بتغيير اهتماماته، وأولوياته، وهكذا فعلوا في بوركينافاسو رجعوا إلى العاصمة واغادوغو بعد مدينة «كوبيلا» ليستقطبوا الطبقة الميسورة الحال. فأسسوا لهم مدارس «مقعدية» يجلس الأطفال على المقاعد لتلقي الدروس، وهي رسالة مقصودة وقتئذٍ، ليس غرضهم تحسين الأوضاع التّعليمية بقدر ما هو طريقة لمحاربة التّعليم الإسلامي المتمثل في الكتاتيب التي هي للمسلمين، ويجعلونها للبدو؛ حيث يشعلون النّار ليلاً ويجلسون على الأرض أو على جلود الخرفان لتّعليم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بخلاف المؤسسات التّعليمية الثّابتة للتّصير، ولهذا لما بدأ التّعليم المدرسي العربي الإسلامي الحديث رفض بعض الآباء أن يسجلوا أبنائهم فيها؛ لأنّها تشبه المدارس التّصيرية في الشّكل وطريقة التّعليم، فاستمروا بتأييد طريقة الكتاتيب في التّعليم والتّربية، يرون أنّ الجلوس على الكراسي أو على المقاعد للتّعليم قلّة أدب من التّلميذ في حضرة أستاذة، ولما عرفوا أنّها أسلوب حديث لتقوية التّعليم قبل بها معظمهم ورفض بها البعض.

واستغلت المنظمات التّصيريّة في بوركينافاسو تصرفات بعض أصحاب الكتاتيب في بوركينافاسو باعتمادهم عليها كمصدر دخّل لمُحاربة الإسلام، وتأسيس منظمات لاحتواء

(١) ينظر: أوروبا والإسلام، عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، مطابع الأهرام التجارية، مصر، ط١، ١٩٧٣م.

تلاميذ الكنائس، وإعادة تكوينهم، وتوفير أعمال لهم، وهذه خطوة خطيرة لمستقبل الكنائس في بوركينافاسو، فهي مؤسسة تعليمية قديمة كانت مرموقة في كل ربوع إفريقيا لها سلبياتها وإيجابياتها، فيها تربية دينية صحيحة، وتعليم ديني لغوي صحيح، لكن أصبحت معظمها الآن بوابة لتشريد الأطفال وتحويلهم إلى متسولين على الطرقات واستعبادهم وضربهم وتحميلهم ما لا يستطيعون من الأستاذ، وهي سلبيات يجب تقييدها.

٦- التعليم الإرسالي:

التعليم ركيزة مهمة للمنصرين لتشويه عقل الطفل مبكرًا، يقول المنصر «جون موط»: «إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن نحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية^(١)، فعملوا على الإكثار من المدارس ورياض الأطفال، إنشاء الجامعات والكليات، وهذه الوسيلة من أخطر ما يعول عليه المنصرون في الاتصال بأبناء المسلمين: حيث يكون المدرسون نصارى. والجو الذي يعيشه الطلاب جوًا نصرانيًا، حيث الرموز والملابس والاحتفالات، والأعياد والهدايا، والزيارات المنزلية، والرحلات الترفيهية أو التعليمية، يجبرون الطلاب على دخول الكنائس، والاستماع إلى مواعظ الأحد الدينية، والقيام بالطقوس النصرانية.

أضف إلى ذلك ما تتمتع به هذه المدارس من إعداد جيد و متميز من حيث البنية التحتية من مبانٍ ومرافق، ونحوها، ومن حيث الرعاية الأكاديمية والصحية والاجتماعية التي يجدها التلميذ في مثل هذه المؤسسات، في مقابل الوضع السيئ للمؤسسات التعليمية الحكومية أو الإسلامية من مدارس في الأكواخ وفي مبانٍ قديمة ضيقة، الأمر الذي يجعل أولياء الأمور يدفعون بأبنائهم إليها، وشهود أبناء بعض الدعاة من المسلمين فيها وحتى بعض أبناء المؤسسات المدرسية العربية والإسلامية في إفريقيا، مع ما يُعرف للمعلم من تأثير قوي على شخصية التلميذ، تلك الشخصية المتلقية والمقلدة، والتي تنظر إلى المعلم على أنه مصدر معرفتها وثقافتها، وهو القدوة الثانية بالنسبة له بعد البيت، وربما تكون أقوى لعدد الساعات التي يقضيها التلميذ في المدرسة، وفي هذا الجو النصراني المؤثر.

أشار المؤرخون إلى أن المدرسة الأولى التي أسستها الكنيسة الكاثوليكية في بوركينافاسو هي المدينة الإكليريكية في مدينة (بَبْرِي pabre) وهي منطقة تبعد عن العاصمة بـ (٢٢) كيلو مترًا، تقع في الشمال الغربي للعاصمة، أسسها النائب الرسولي جواني نيفينود في عام ١٩٤٦م كما أشرت في ترجمة الرجل: حيث تخرج فيها أول رئيس لجمهورية بوركينافاسو

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٦٨.

«مُوريس ياموؤغُو»، ثم المؤرخ الشهير «جوزيف كي زيبو»، وغيرهما.

لقد فتح التّصير مدارس كثيرة في معظم مناطق بوركينافاسو، وكانت تدرس فيها النصرانية بوصفها مادة أساسية بجانب المواد لأخرى، وتفرض على التلاميذ حضور قداصة يوم الأحد وعيد (بَابَا نُويل) وأعياد نهاية السنة الميلادي، وغيرها من الأعياد النصرانية التي تصور وكأنّها أعياد اجتماعية لصالح المجتمعات، وهكذا تخرج القادة السياسيين الأوائل في بوركينافاسو في السّتينيات أي جيل الاستقلال، ولعل تصريحات أسقف مدينة واغادوغو في بداية تأسيس المدارس التّصيرية خير دليل على ما ذكرنا: حيث قال: «لا بدّ لنا من مدارس تصيرية مهما سيكلفنا الثّمن، من معلمين منصّرين، لا بدّ أنّ نُكوّن قيادات سياسية، الذين سيتولون مسئولية قيادة هذا البلد في المستقبل»^(١). فكان إعداد القادة والزعماء السياسيين أسلوباً تصيرياً مهماً ركزوا عليه واهتموا به كثيراً، قال أحد المنصّرين: «كنا نُحضّر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من إفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن، والنرويج وبلجيكا، وباريس، فتتغير ملابسهم...»^(٢).

والأمثلة واضحة في بوركينافاسو، فمعظم قادة بوركينافاسو اليوم والأمس من الخريجين في هذه الجامعات والمعاهد، ومعظم درسوا في أوروبا وأمريكا، وطافوا بهم في هذه العواصم ولقنوهم دروساً، وفي غرب إفريقيا قادة كثيرون مثل ليوبولد سنغور في السنغال، وجولبوس نايريري في تنزانيا، ويوري موسيفيني في أوغندا، وآسياس أفورقي في أريتريا، ودانيال أرب موي في كينيا وغيرهم كثيرون، وبعض الجنود يتم تدريبهم في عواصمهم.

لقد تطوّر التّعليم التّصيري في هذا العصر بشكل لافت للنظر، بيّن (jean ilboudo) جيّان إلبودو بأن: «تكوين المنصّرين المحليين كان مهمّة كبيرة شغلت بال المنصّرين منذ السّاعات الأولى من قدومهم إلى بوركينافاسو: حيث لا بدّ لتكوين هؤلاء المنصّرين من تنصيب مدارس للسيطرة على عدد كبير من المناطق، حتّى لا يسبق إليها المسلمون. ومن هذا المنطلق نفهم وجود المراكز التّصيرية في المدن الكبرى في البلد؛ بأنّها إجراءات استراتيجية تصيريّة لاحتلال المنطقة»^(٣).

كان التّصير ذكياً في عملياته التّصيريّة التّعليمية: حيث كان ينتقي من الطلبة الأذكياء والنّخبة الذين يمتلكون مؤهلات القيادة لتكوينهم تكويناً خاصاً يخرجهم بعد ذلك رجالاً تابعين لهم، يقول فريدريك جيرم: «كان يختار القس جواني تيفينود من الطلبة الموسي الطلاب

(1) Vivante Afrique •no 23•Novembre-December•1962.p11

(٢) التّصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا، منشورات، جامعة إفريقيا العالمية، ص: ١٨٣.

(3) Le Christianisation du moogo (1899-1949):jean ilboudo•thèse de doctorot 3è cycle•1985•p209

الممتازين الذين عُرفوا بالذكاء الفائق، وكان من بين المنصرين الذين كُلفوا للقيام بهذا المهام: مونومبو كالينزاج، وهنري جيسو، وبيرنارد تيبو، وفرانسوا بودا، وكانوا يقومون بتكوين هؤلاء ويأمرهم أن يتصرفوا تصرف الشخصية القيادية المسؤولة، لا كشخصية «الموسي» التقليدي، وكان يرسخ دومًا في عقولهم أن واجبهم الأول هو العمل على تقدّم المسيحية، وبيّن لهم أن دوره كقسيس هو أن يُعلمهم تعاليم المسيح في مجال السياسة^(١)، أي: ربط النصرانية بالسياسة، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فيعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وغرس مبادئ التربية الغربية وأنماط السلوك الغربي في نفوس المسلمين وحياتهم: حتّى يشبوا مقلّدين للغرب الكافر وقد استخفوا بالأخلاق والقيم الإسلامية.

يسعون إلى برمجة الأطفال نفسيًا من خلال محو الأمية، ففي المؤسسة التعليمية يتم —وبهدوء وتركيز شديدين — تغيير الرّموز الدينية لدى الطفل المسلم برموز أخرى، وثقافته الدينية بثقافة أخرى، وأمنيّاته وتطلّعاته ومعاييرَه بأخرى مغايرة، وهكذا ينسلخ عن دينه وثقافته وأمته شيئًا فشيئًا، ليُشكّل تشكيلاً جديدًا، فهو إن لم يترك دينه ويتحول إلى النصرانية فعلى أقل تقدير —وهو هدف لا بأس به عند المنصرين— تضعف معرفته بالإسلام، وينهار تمسكه به، ويبرد حماسه له، ويكون مستعدًا للتخلي عنه متى ما كان الوقت ملائمًا.

كما عمل التنصير على توفير المعلومات عن النصرانية، ونشرها بمختلف صور النشر والتوزيع، وذلك عن طريق ترجمة الأناجيل، والكتب الدينية إلى اللغات المحلية، حتّى لا تكون اللغة حاجزًا يحول بينهم وبين الاطلاع على تلك الكتب والنشرات.

وتشير المعلومات إلى أن الإنجيل تمت ترجمته إلى (٤٠٠) لغة إفريقية، وأنّ العمل جارٍ لترجمته إلى (٢٠٠) لغة أخرى. وفي المناطق التي تعمّها الأمية أعدت ترجمات على أشرطة (كاسيت) مصحوبة في بعض الأحيان بموسيقى محلية^(٢).

وقد ترجمت المنظمات التنصيرية دروسًا إلى لغة موري لقبيلة (موسي)، باعتبارها أكبر لغة شعبية في بوركينافاسو يتكلم بها معظم أبناء القبائل الأخرى في البلد، وباعتبار أنّ معظم سكان العاصمة من الناطقين بها، وكذلك ترجمت الدروس والمنشورات النصرانية إلى جُولَا وفَلَانَة، وَغُورْمَاتسي، وسِينُوفُو، وسَامُو، باعتبارهن أهم لهجات بعد شقيقتها موري.

(1) Comment perdre le pouvoir? Le cas de Maurice Yaméogo, Frédéric Guirma, Collection Afrique Contemporaine, 1991, vol:12 p49-50

(٢) ينظر: خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عُقد في مدينة جليل أبري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨، دار مارك للنشر، ١٩٧٨م، ص: ٥١٠-٥٢٠.

والغرض من المنصّر استغلال حبّ الناس للتعليم والخروج من تيه الأمية إلى نور العلم والمعرفة لزرع العقيدة النصرانية، وكان ذلك عقبة كبيرة أمام المسلمين، ويعاني منها أبناء المسلمين الآن في الجامعات، وفي تعيين الموظفين في الدولة، يقول أنور الجندي: «كانت أعقد المشاكل التي واجهها العالم الإسلامي هي مشكلة التّعليم والثّقافة، فقد أحسّ المسلمون مدى حاجاتهم إلى توسيع مجال التّعليم، وتجديد مجال الثّقافة كعامل هام من عوامل النّهضة. وعرف النفوذ الاستعماريّ هذا المقتل في حياة المسلمين فحاولوا أن يستفيدوا منه إلى أبعد الحدود، وكان الاستعمار حين عاد إلى عالم الإسلام في طوره الجديد قد أعد مخططة على النحو الذي يكفل له تغيير العقيدة الإسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التّعليم»^(١).

وفي مقدّمة أهداف التّعليم التّصيريّ الذي تؤسس الدولة المستعمرة مؤسّساته أو تشرف على مناهجها وبرامجها بسلطة إدارتها الاستعمارية: تربية أجيال من أبناء المسلمين تدين بالولاء والطاعة للمستعمرين حكومةً وشعباً، وتتسلخ عن ولائها للإسلام وولائها لأمته الإسلامية، وتقتبس المفاهيم والعادات الغريبة، وكل أنواع السلوك التي يأتي بها المستعمرون، وتتقبل مجتمعاتها الأنظمة التي تزينها لها الدوائر الاستعماريّة أو تفرضها عليها^(٢).

وعملوا بجِدٍّ في إعداد منصّرين من أبناء القبيلة، ليتولى عملية التّصير أناسٌ من أهل البلد، حتى تكون النتيجة مثمرة، فيوظفون حديثي الاعتناق بعقيدتهم ويخصّصون لهم رواتب مجزية للقيام بذلك؛ لأنّ المنصّرين المحليين أعلم بطبيعة بلدهم، وأكثر تأثيراً في مواطنيهم، خاصّة إذا كان هؤلاء المنصرون قد ارتدوا عن الإسلام، فهم يقدمون بذلك نموذجاً عملياً لنجاح عملية التّصير، وهذه هي الفتنة عينها. ومع ذلك يجد هؤلاء المنصرون المحليون السند والتّوجيه والتّدريب من المنصّرين الأجانب^(٣).

٧- التطبيب الإرسالي:

ظهر أهميّة العلاج كوسيلة للتّصير في الرّبع الأخير من القرن الثّالث عشر الهجري الثّاسع عشر الميلادي، عندما تكوّنت الجمعيات الطبيّة في أوروبا وأمريكا، والتي تختص بتأهيل الأطباء والمرضين للعمل في مراكز التّصير، قام المنصرون على اختلاف انتماءاتهم

(١) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي. أنور الجندي، الموسوعة العربية الإسلامية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ج٤، ص: ٣٢٣.

(٢) ينظر: غزو في الصميم، سلسلة أعداء الإسلام، عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م، ج٥، ص٢٧ - ٣٠.

(٣) ينظر: الجذور التّاريخية لإرساليات التّصير الأجنبية في مصر، خالد محمد نعيم، ط١، ١٩٨٨م، ص: ١٥.

الكنيسة. وجمعياتهم التنصيرية في تحريك التنصير من خلال الطب^(١).

يُعتبر الطب من أكرم المهن الإنسانية. وهو ركيزة أساسية في حياة المجتمعات. ولا غنى لمجتمع عنه، وبما أنَّ المرض والصحة مرتبطان بحياة الإنسان، فإنَّ هيئات الإرساليات التنصيرية قد اتخذت العلاج وسيلة للتوصل إلى الهدف.

ولمَّا كانت محاولة الدعوة الفردية والجماعية المجرد والدعوة الخالية من إغراءات غير مجدية وقليل الجدوى في دعوة الناس للنصرانية، سلكت الإرساليات طريقاً آخر في دعوة الناس في بوركينافاسو. ومن ذلك: الدعوة من خلال المستشفيات والمراكز الصحية التي استغلوها كوسيلة خداع وأداة للرق ونشر الاعتقادات النصرانية، استخدموا الدواء في نشر (الإنجيل المزور) بين المرضى، في مستشفيات أو مستوصفات أو في مخيمات علاجية لتحقيق أهداف المنصرين.

قال المنصرون: «إنَّ الطبيب المنصر بإمكانه أن يصل بتبشيريه إلى جميع فئات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم، ثم إنَّهم افترضوا أن يكون الطبيب المنصر نسخة حية من الإنجيل، ليتمكن من تغيير الذين حوله، ويجعل منهم نصارى، أو يترك في نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل»^(٢).

فالتطبيب أسلوب مهم كان له نصيب كبير في تنصير البوركينين يقول أحدهم: «أرجو ألا يعتقد أحدٌ بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنَّها غايات في ذاتها، ولكنَّها وسائل نبيلة تستحق الإعجاب لتحقيق غاية، لقد كان الربّ - يعني المسيح عليه السَّلام. تعالى الله عما يقولون - يتنقل لفعل الخير، ولكنَّه نادراً ما كان يبرئ المريض، أو يحيي الموتى إلاَّ عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الرُّوحي»^(٣).

تتمتع المؤسسات الطبية الإرسالية بإمكانيات هائلة، في مقابل ضعف أو غياب الرِّعاية الصَّحية الحكومية، أو الإسلامية، أضف إلى ذلك ما يتمتع به الطبيب أو مقدم الخدمة الصَّحية من نظرة خاصَّة ومحترمة من قِبَل المجتمع الرِّيفي ومجتمع المدينة باعتباره شخصاً يسعى في إسعاد الآخرين، ورسم البسمة على شفاههم، فوظف هذه النظرة الإجلالية لتحقيق أهداف التنصير، يقول المنصر موريسون: «نحن متفقون بلا ريب على أنَّ الغاية الأساسية من

(١) ينظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، إبراهيم عكاشة، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٧هـ، ص ٢٧.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي وفروخ، ص ٥٩.

(٣) الإسلام والتحدى التنصيري في شرق إفريقيا، عمر سالم عمر بابكور، منشورات جامعة أم القرى، ط ١، ١٤١٧هـ، ص: ٢٩٤.

أعمال التنصير بين المرضى.. أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحيّة^(١). ولهذا نجد الطبيب يمارس هذه المهنة بأخلاقية عالية؛ من حيث حسن المعاملة لمراجعيه، وإظهار الاهتمام البالغ بهم، بل وبمرافقيهم أيضًا، وإدخال السُرور والطمأنينة على نفوسهم. الأمر الذي ربّما لا يجدونه مع الأطباء الآخرين.

التّطبيب مدخل يحظى بتقدير الشعوب؛ لأنّه يخفف من معاناتهم، كما أنّه يقدّم فرصًا كبيرة لمقابلة الطبيب بكثير من الناس، ولما كان المسلم هو الذي يطلب مقابلة الطبيب النصراني لمعالجته، كانت تلك الفرصة سانحةً للمنصرين في استغلالها لدعوتهم، وربما يُصوّر للمريض أنّ الطبيب النصراني يمارس مهنة المسيح الذي كان يقدم خدماته الصحية للناس وللفقراء منهم، وهنا ربما يتذكر المريض المسلم، أو يُذكر بما ورد في القرآن الكريم عن المسيح عليه السّلام من أنّه يبصر الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ويُصور له أيضًا التّضحية التي قدمها المسيح من أجل الناس؛ حيث هدى البشريّة بدمه الطاهر، فكذلك هذا الطبيب الذي جاء من بلده الأوروبي تاركًا بلده وأهله ووظيفته وراحته هناك، ليعيش بين مرضاه الجذد في وسط الأدغال والغابات والأحراش، إنّه يمارس مهنة المسيح. هكذا يقدمون صورة خطيرة للبسطاء، يقولون للناس: «إنّ المسيح كان معلمًا ومدّويًا وفي الواقع كان طبيبًا، إنّ ما نفعله هو السير على خطاه»^(٢).

وتقول المنصرة إيراهيس ناصحة الطبيب النصراني الذاهب في مهمة تبشيرية: «يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى أذان المسلمين وقلوبهم فتكرّز - فتبشر - لهم بالإنجيل، إيّاك أن تضع التّطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أضمن تلك الفرص على الإطلاق»^(٣). إنّ المجال الطبي من أوسع الأبواب التي دخل منها الداعون إلى التّصراية في بوركينافاسو، ولم يكن علم المهنة، ولا تخصصها مانعًا لمثل هؤلاء من استثمار المجال الذي يعملون فيه في الدعوة إلى النصرانية، وترى بعض الدراسات الإفريقية أنّ الوسيلة الأولى في عمليّة التّصير هي: التّصير من خلال تقديم الخدمات الصّحية والطبية^(٤).

وما لبثت أنّ أفصحت عن وجهها الحقيقي؛ حيث كشف بعض المسلمين في بوركينافاسو خطورة بعض الأطباء في المؤسسات كمراكز للتّصير. فقلّت أعمال التّطبيب إلّا من الأدوية

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٥٩ - ٦٠.

(٢) الإسلام والتّحدي التّصيريّ في شرق أفريقيا، عمر سالم عمر بابكور، ص: ٢٩٥.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ٦٢.

(٤) ينظر: دراسة في حركات التبشير والتّصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي الدالي. وعمار هلال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص: ٧١ - ٧٢.

العادية حتّى أصبحت في النهاية مراكز مهجورة لا تعمل إلا للتنصير المحض، يقول المنصر رايد: «إنّا نحاول أن ننقل المسلم من محمد إلى المسيح، ونحن لا نحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لنا في الإنسانية، ولولا أنّنا نريد أن ننقله إلى صفوف النصارى لما ساعدناه»^(١).

٨- الإعلام الإرسالي:

إنّ وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزيون، وسينما ومسرح، بالإضافة إلى وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت كلّها تسهم في حملات التنصير، وهي من الوسائل المختفية، أما الوسائل الإعلامية الصريحة فهذه موجودة وكثيرة وتوجّه إلى عدة لغات، وتغطّي عدداً كبيراً من ساعات البثّ، كما اهتم المنصرون بالمطبوعات والنشرات وإصدار الجرائد والمجلات التنصيرية، فأنشئوا المطابع لذلك، وحرصوا أنّ يتولى الكتابة المبشرون الحاقدون وبعض الوطنيين العلمانيين.

لقد جاء في تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي عن النشاط التنصيري في إفريقيا: لقد تمّ توزيع (٦١٠) عناوين لكتب تنصيرية مطبوعة بلغات مختلفة، ومئات الملايين من الكتب المطبوعة، والتي تم نشرها، و(٢٤,٩٠٠) مجلة متنوعة يوزع منها ملايين النسخ، ووزعوا (١١٢) مليون نسخة إنجيل في عام ١٩٨٧م، تم ترجمة الإنجيل إلى (٦٥٢) لغة ولهجة إفريقية مقابل سبع لغات تم ترجمة القرآن لها فقط، و(٥٤٤٥) لغة ولهجة تم ترجمة وتسجيل الإنجيل في أشرطة، وتم توزيع عشرات الملايين من هذه الأشرطة^(٢).

استخدم التنصير المحطات الإذاعية -خاصّة FM- والتلفازية باللّهجات المحلية في بوركينافاسو لتحقيق الغرض التنصيري، وما يملكه التنصير في بوركينافاسو من هذه المحطات يفوق التّصوّر، فضلاً عن الاستفادة من المحطات الرّسمية والمحلية، وكذلك يهتمون بإصدار مجلات وصحف وكتيبات صغيرة ومطويات بغرض التنصير، وأخيراً استخدموا الإنترنت بإقامة مواقع خاصّة بهم، ويحرصون على المحافظة على أسمائهم الإسلامية كمادّة إعلامية، ولديهم مواقع على الإنترنت تطعن في الإسلام بطريقة مباشرة ودون موارد.

لقد كان الإرسال الإذاعي الموجه إلى المسلمين من أهم القضايا التي طُرحت في مؤتمر كولورادو ١٩٧٨م، بحيث انصبّ اهتمام المؤتمرين على كيفية استقلال هذا الإرسال في تنصير المسلمين، وضرورة تطوير الأساليب المتبعة فيها، وكان هذا التطوير يعتمد أساساً على: مرحلة الاستقطاب، والتّلبيس؛ وذلك بتقديم رسالة نصرانية في وعاء إسلامي، وربما

(١) التبشير والاستعمار في البلاد المريّة، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص: ١٩٣.

(٢) ينظر: التنصير في إفريقيا السنغال أنموذجاً سيدي غالي لو، مجلة البيان العدد: ١٥٤، ص: ٨٠.

من خلال شخص يحمل اسم مسلم^(١).

وقد عمدت الدوائر التنصيرية إلى اتخاذ وسائل الإعلام بكل أنواعها في لتبليغ خطابها الديني في بوركينافاسو، فأنشأت محطات إذاعية مسموعة ومرئية في جميع أنحاء البلاد، وهي تبث بمختلف اللغات المحلية، كما أنها تصدر الجرائد والمجلات التي تعبّر عن وجهة نظر المسيحية في مختلف القضايا التي يعيشها البلد، منها على سبيل المثال:

١- (إذاعة ماريا)، مقرها واغادوغو العاصمة، أنشأت عام ١٩٩٣م، وهي مرتبطة برابطة إذاعات ماريا في إيطاليا، وبدعم منها؛ حيث بلغت تكلفة عشرة ملايين فرنك سيفا، ولها فروع في مدينة كوبيلا، ومدينة كايا.

٢- (إذاعة التنصير والتنمية)، مقرها العاصمة، بدأت بثها رسمياً في ٢ يوليو ١٩٩٣ م في واغادوغو، تتبعها ثلاث محطات فرعية في مدينة بوبوجولاسو، وفي مدينة واهيفويا، وفي مدينة ليوو.

٣- (إذاعة النور والحياة والتنمية)، مقرها العاصمة واغادوغو، وهي الإذاعة التنصيرية الثالثة في واغادوغو تأسست عام ١٩٩٥م. وهي تابعة للكنيسة الإنجيلية.

٤- (إذاعة التحالف المسيحي) مقرها بوبوجولاسو.

٥- (إذاعة التنصير بالجنوب الغربي) مقرها مدينة غاوا.

٦- (إذاعة سيدتنا للساحل)، مقرها واهيفويا. وقناة مرئية اسمها (صوت الحياة) مقرها في العاصمة واغادوغو بدأت بثها في عام ١٩٩٦م، وتبث برامجها كل يوم من الساعة السابعة إلى العاشرة مساءً، ويبلغ قوة بثها ٢٥ كلم خارج العاصمة^(٢).

يستخدمون كل الوسائل التي تساعد في إحداث التأثير المطلوب، من الموسيقى الشعبية والغربية بلهجات مختلفة، إضافة إلى الألعاب الرياضية والرحلات الترفيهية والكشفية، والمناسبات الاجتماعية، والزيارات والمجاملات العائلية، وبعض الأحداث العالمية أو المحلية لتوظيفها في خدمة أهدافهم.

٩- الإفادة من دستور الدولة وقراراتها السياسية والاتفاقيات الدولية:

يستفيد التنصير من الاتفاقات والإعلانات الدولية فيما يتعلق بـ«حقوق الإنسان» للضغط على الحكومات الإفريقية بما فيها الحكومة البوركينية؛ لتمرير أعمال التنصير بدعوى رعاية حقوق الأقليات الدينية، ومنع اضطهادها فيها، وتمكينها من إثبات وجودها، ويقصدون بذلك

(١) ينظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، عبد الفتاح أبو المعال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن،

ط١، ٢٠٠٠م، ص: ١٤.

(2) Tudescq, ellises, Editions Marketing, S.A. 1999, paris, p17 Lcs Medias en Afrique, Andre-Jean

النَّصَّارى، ومن ذلك بناء الكنائس والمدارس التَّصْصيرية، وحرية الدعوة إلى النصراية. ومحاربة الإسلام، ويستقلون الصراعات السَّياسية وخاصة الطائفية بين المسلمين والنصارى لدعم النصارى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وينجحون في ذلك حيث لا توجد من يجابهها بالمثل، يتوافدون إلى بوركينافاسو وإلى المناطق المنكوبة من الكوارث كالفيضانات والجفاف، والمجاعة، ونحوها، وهذه مرتع التَّصْصير الخصب: حيث حالة الفوضى وفقدان التوازن الأمنى والاجتماعى والنفسى لدى أصحاب هذه الشريعة، مما يجعلهم نهياً لمنظمات التَّصْصير بلا منافس يُذكر، بل أحياناً تحت رعاية دولية وقانونية. فتقام معسكرات الإيواء لتنفيذ فيها برامج متكاملة: ظاهرها الرَّحمة وباطنها العذاب والسَّخ من الدِّين والهوية، فمثلاً استغل المنصرون الكوارث الطبيعية التي خيَّمت على البوركينيين نتيجة الجفاف المتتالية بين (عام ١٩١٥ و١٩١٦م)، وكذلك جفاف (١٩١٨ و١٩٢٩م)، و(١٩٣٤ و١٩٧٣م) توصف هذه السَّنوات بسنوات القحط والمجاعة في بوركينافاسو، استغل التَّصْصير لاستقطاب السكان الحيارى لتوسيع نشاطاتها التَّصْصيرية^(١).

١٠- الرِّبط بين الإسلام والجنس العربى:

والرَّعْم بأنَّه دين العرب لا غير، لضرب عالمية الإسلام، ولإثارة النفرة منه باعتباره ديناً عنصرياً. وهو الأمر الَّذي تعاني منه الكنيسة الغربيَّة، ويعاني منه الاستعمار الأوروبى، وعلى هذا تُفسَّر أخطاء العرب بأنَّها مبادئ إسلامية. كما تُفسَّر أخطاء المسلمين بأنَّها مبادئ عربية.

١١- إثارة الشُّبهات بقصد تشكيك المسلم في دينه:

وتحويل الثَّوابت إلى متغيرات، وموضع للنظر والاحتمالات، والأصول إلى فروع وأمور هامشية، والمحاسن إلى مساوئ، والمفاخر والأمجاد في تاريخنا إلى مخازٍ ينبغى التَّبرُّؤ منها، أو الخجل عند ذكرها، منها: القرآن مستفاد من الكتب القديمة؛ العهدين القديم والجديد، تاريخ الصحابة والمسلمين حافل بالحروب والدمار، الحضارة الإسلامية ما هي إلاَّ سرقة للحضارات القديمة، الطعن في بعض الأحكام الشرعية مثل: الجهاد والطلاق، والتعدد والميراث، والحجاب، وغيرها^(٢).

(١) ينظر: Maxime Emmanuel : Zamane, Mémoire de Maitrise, Université de Ouagadougou, département d' Histoire et d' Archéologie, 1990, p72. Les Christianismes en pays San (1913-1973).

(٢) ينظر: الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة أ.د. حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون وما بعدها. صدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٤٣٦.

قال أحدهم: "يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن)، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، لنقضي تماماً عليه، يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً"^(١).

١٢- الرقص والفناء الإرسالي:

يعرف عن الشعوب الإفريقية بصفة عامة أنها شعوب تحب اللهو والرقص والفناء، فأدخلت الإرساليات الرقص والفناء في وسائلهم إلى بوركينافاسو، فاخترعوا أغاني شعبية بطريقة غريبة، ويكثرون من الحفلات داخل الكنائس، فيحضرها العامة من الناس من غير النصاري، وأحياناً يحفظ الصغار والفتيات أغانيهم التي نُسجت بلهجات محلية، وبهذا يستدرجون الشباب خاصة وهم هواة الرقص.

١٢- الأعياد النصرانية:

استطاع النصاري أن يحولوا عيد (بابا نويل) و(عيد نهاية السنة الميلادي) وهي تصادف ليلة ٣١ ديسمبر من كل عام احتفالاً بانتهاء عام وبدء عام جديد، إلى أعياد وطنية عالمية؛ فهذان الميدان من أخطر أعياد النصاري على الإطلاق؛ يجلبون الشباب والفتيات المسلمين فيهما إلى الهلاك، وشرب الخمر، وهتك الحرمات.

لقد استفحلت الظاهرة في بوركينافاسو، وإذا لم ينجحوا في استقطاب الشباب إلى النصرانية فإنهم نجحوا في تدميرهم أخلاقياً؛ حيث تكثر في هذه الأيام الخمر، وتزدحم بيوت الدعارة، وتكثر حوادث السيارات والدراجات النارية، وتدخل الدولة في تأهب أمني واستنفار شديدين.

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص: ٤٠.

المحور الثاني

نتائج التنصير وآثاره في بوركينافاسو

التنصير في بوركينافاسو بين النجاح والإخفاق

تختلف نتائج التنصير وآثاره على الناس في بوركينافاسو من منطقة لأخرى، فالمناطق الشرقية دون المناطق الجنوبية أو الشمالية أو الغربية. وقد تحدثت عن ذلك سابقاً، للتنصير خطة خاصة لكل منطقة في بوركينافاسو؛ ذلك أن المنصرين يهدفون من وراء عملهم إلى تحقيق النتائج الآتية:

١- نقل البوركينيين من الوثنية أو من الإسلام إلى المسيحية (النصرانية):

إن أول أهداف التنصير هو تحويل الشعوب إلى النصارى، وقد أخفق المنصرون إخفاقاً ذريعاً في تحقيق ذلك في بوركينافاسو، إذا تابعنا ما ينفقون على حركاتهم وإغراءاتهم، فنادرًا ما يسجل في الدولة أن مسلماً قد تنصر وارتد عن الإسلام، هناك حالات مُفَبَّركة وأحياناً صحيحة، ولهذا لا يزالون يشكلون ١٠٪ من مجموع الشعب في بوركينافاسو بينما نسبة المسلمين تتصاعد كل سنة.

وهي المقابل نجد أن كثيراً من المسيحيين في بوركينافاسو يعتقدون الإسلام. كفة الإسلام قد رجحت على كفة المسيحية من حيث القدرة على جذب الوثنيين واستقطابهم، فكثير من السلاطين التقليديين تابوا ويتوبون، ولذا فإن أتباع الكنيسة في بوركينافاسو إما مسيحيون وراثة أو وثنيون اعتنقوا المسيحية فيما بعد، أمّا أن يكون فيهم مسلمون متنصرون فلا تكاد تجد من بينهم إلا قليلاً. كما أن غالبية النصارى في بوركينافاسو من قبيلة موشي، وغورماتي، وداغاري، وبوبو، وهي القبائل كانت أشد تشبهاً بالوثنية.

وممّا أفشل مشروع التنصير الوجود الإسلامي الشديّد والقوي في بوركينافاسو وجهاد الأباء والأجداد لمقاومة التنصير جهاد كبير، لا يسع المجال لذكرهم جميعاً، فقد بينوا للناس كره المنصرين للسود، واستخدمهم سياسة التفرقة العنصرية، يقول فليب رفته: «وفدت المسيحية إلى إفريقيا، مع المستعمرين الأوروبيين؛ إذ جاء المبشرون في أعقاب المستعمر، وتدخل المبشرون في السياسة، ورأى الإفريقيون هؤلاء الأوروبيين. يمارسون

التفرقة العنصرية^(١). واكتشف الأفارقة أنهم يتاجرون بالسود ويستخدمونهم كالعبيد.

٢- تغريب المسلمين في كل ربوع بوركينافاسو:

وتدمير المناعة الإسلامية النبيلة في نفوسهم، وزرع الشُّكوك في معتقداتهم الإسلامية أو في قيمة تاريخهم، من خلال معتقدات مسمومة مدروسة وهادفة.

فإذا فشل التَّصير في بوركينافاسو في تحويل المسلمين إلى النصارى، على رغم من جهودهم المادية والمعنوية الخيالية، وأساطيلهم القويّة والمتطورة، فإنَّهم نجحوا في تحقيق الهدف الثَّاني المتمثل في تغريب المسلمين عن الإسلام. وزرع الشُّك في نفوسهم، وهدم الإسلام في نفوسهم، وتحويلهم من الإسلام إلى عالم الغرب لتدميرهم روحياً، وصبغهم بصبغة علمانية إباحية.

والهدف منه إفساد عقيدة المسلمين وتغريبهم وجعل الإسلام شكلاً في نفوس بعض الفتيات والشباب، وهذا ما يحدث في الواقع، فقد أصبح الإسلام بدون المسلمين، لا فرق بين أبناء المسلمين والنصارى في اللباس والأخلاق والتَّصرفات، إلّا أنَّ هذا يحمل اسم المسلم والآخر نصراني، إعجاب كبير بالموضة الغربية: حيث السُّفور وشرب الخمر المحلية والإقليمية والدولية، والزنى واللواط، والابتعاد عن الله عملياً، لتجد أبناء بعض أئمة والدعاة وشيوخ الدين خبراء في الفساد، ويديرون بيوت الدُّعارة والخمارات وغيرها في واغادوغو.

(١) - استعمار إفريقية، زاهر رياض، الدار القومية، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، ص: ٣٥.

دور الجمعيات الإسلامية في وقف زحف الأساطيل التنصير على بوركينافاسو

لقد عملت الجمعيات الإسلامية في بوركينافاسو لوقف زحف التنصير فيها بكل جدٍّ وبحماسة شديدة، عبر مشاريع دعوية وتأسيس مؤسسات تعليمية، إلا أنَّ هذه الجمعيات مع تعددها بدلاً من التعاضد والتتسيق لمواجهة العدو المشترك، عبر العمل الجماعي، تحوَّلت إلى التشرذم والتفرق؛ فدور الجمعيات الإسلامية في درء أخطار التنصير في بوركينافاسو كان ولا يزال ضعيفاً لعدة أسباب، من أهمها:

١- غياب وحدة العمل الإسلامي في بوركينافاسو، وهو سبب غياب رئاسة إسلامية موحدة فاعلة تحتوي حقيقة جميع الفرق والمذاهب، ويقبلها كل الفرق والطوائف؛ للإشراف على شئون الإسلام والمسلمين في مواجهة التنصير وأساطيله.

٢- ضعف الإمكانيات المادية للجمعيات الإسلامية، مقارنة بالإمكانات الكبيرة للمؤسسات التنصيرية، وغياب التتسيق بينها في ظل تضافر الجهود بين المؤسسات التنصيرية على الرغم في اختلافها الكنيسة والمذهبية.

٣- غياب خطة علمية مدروسة واضحة وواقعية لمجابهة خطر التنصير، وعدم تركيزها على الأولويات، واستغلالها لصالح الدعوة، وردع التقدم التنصيري التفريري.

٤- افتقار العناصر القيادية في كثير من الجمعيات إلى ثقافة إسلامية مؤهلة، وكفاءة إدارية للتعامل مع التنصير، بخلاف الجمعيات التنصيرية التي يقودها علماء ومتخصصون في كافة المجالات الدينية والفكرية، والثقافية والطبية، وغيرها.

٥- وجود جمعيات وهمية أو شكلية لتحقيق مصالح شخصية؛ ممَّا يعيق جهود الجمعيات الصَّحيحة، ويشوِّه سمعتها في سعيها لبيان خطر التنصير.

٦- غياب امتيازات وحصانة دبلوماسية حكومية، أو دولية للجمعيات الإسلامية الحقيقية، بينما تتمتع المؤسسات التنصيرية بامتيازات كبيرة تحميها الهيئات الدولية والقنوات الدبلوماسية.